موقف الشعراء من الشيب من العصر الجاهلي إلى نهاية العصر الأموي

الدكتور/ علي بن ناصر بن عبدالله جمّاح
قسم الأدب ــ كلية اللغة العربية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

بين يدي البحث:

يقطع الإنسان رحلة الحياة ماراً بأطوار شتى ، يبدأها ضعيفاً ثم يقوى عوده ، ويشتد ساعده ، ثم تؤول القوة إلى ضعف ، فحياة الإنسان ضعف يتسامى إلى قوة ، وقوة تهبط إلى ضعف ، والقرآن الكريم صور هذه المرحلة تصويراً دقيقاً في قول الله تعالى : ﴿ **ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ** ﴾ (1).

والشيب مرحلة مهمة في حياة المرء ، وتجربة حرية بأن تثير في نفس من يصلها من البشر وقفات مختلفة ، تتراوح بين الإحساس بدنو الأجل وما يتطلبه من الوقوف أمامها وقفة المتأمل الزاهد ، وبين من يتنكر لهذه المرحلة فلا يقبل علامتها ولا ينساق أمام نذرها ، وبين الفريقين أناس يعبرونها بهدوء فلا تثير فيهم شيئاً ، ولكون الشعراء من أكثر الناس إحساساً وأقدرهم تعبيراً كان هذا البحث عن الشيب .

وآثرت التوقف عند الشيب في عصرين مختلفين هما العصر الجاهلي والعصر الإسلامي (عصر صدر الإسلام والعصر الأموي) ؛ لأن الحديث عن الشيب بعامة يحتاج إلى وقفات أوسع من هذا البحث ، ولأن العصور التي تلت العصر الأموي تأثرت بمؤثرات خارجية دخلت على الفكر الإسلامي ، من فارسية ويونانية وهندية وهو ما أفضى لظهور صور من الزهد والتصوف المرفوض .

وعلى الرغم من أن العصر الإسلامي يعد ــ عند بعض الدارسين ــ امتداداً للعصر الجاهلي فإن استعراض النصوص التي قيلت في العصر الإسلامي سوف تبين عن موقف جديد ينطلق من رؤية جديدة ؛ فقد أصبح الشاعر الإسلامي

---

(١) سورة الروم آية (٥٤).

ينظر نظرة أوسع للحياة لا تتوقف بالموت بل تتعداه إلى حياة أخرى تمثل الغاية التي يسعى إليها في حياته الأولى .

وفي ظني أن البحث في الشعر من خلال صورٍ محددة كالشيب مثلاً وتناولها بقدر من التفصيل يطلعنا بوضوح على مدى الأثر الذي أحدثه الإسلام في هذه الجـــزئية ، وحين يكتمل البحث في هذه الصور يمكن الحكم بدقة على التغيير الذي أحدثه الإسلام في الشعر العربي بعامة.

* * *

موقف الشعراء من الشيب في العصر الجاهلي:

ارتبط موقف الشعراء من الشيب في الشعر الجاهلي في كثير من صوره ببناء القصيدة حيث يرد في أولها وفي المقطع الذي يعنى فيه الشاعر بالنسيب والوقوف على الأطلال(1).

ويتكرر المشهد في القصائد الطوال من خلال حديث الشاعر مع صاحبته أو زوجته أو ابنته في صور تتمثل في إنكاره الضعف أو الشحوب أو ظهور الشيب على مفرقيه .

وفي اعتقادي أن الشاعر وهو يردّ على صاحبته أو قرينته يتجاوز ذلك المعنى المحـــدود في إقناعها بجميل ماضيه إلى جعل ذلك التساؤل منطلقاً للحديث عن نفسه وتسليتها أمام ذلك الوافد القادم، وهو الشيب.

وهـــذا المقطـــع المتمثل في سؤال الشاعر وردّه يمكن تعليله بما علّل به النقاد ورود ذكر الراحلة في مقدمة القصيدة من كونها تمثل مدخلاً للحديث عن وفادة الشاعر على الممدوح.

ومع أن الشاعر الجاهلي قد اتخذ من هذا التساؤل مدخلاً للحديث عن موقفه مـــن الشـــيب إلا أن هذا الموقف لم يطل الحديث عنه عند كثير من الشعراء ، وكانت تحكمه النظرة العجلى ، إذ لا يتوقف عنده الشاعر وقفة تناسب أهميته ، ومقـــدار تأثيره في حياة الناس ، وهذا لا يعني أنه افتقد في كل صوره التعبير عن حالة الشاعر وتأثره بالشيب .

ومجيء الحديث عن الشيب ضمن ذلك السياق في بناء القصيدة سبب رئيس

---

(1) اعتمدت في إصدار ذلك الحكم على استعراض جانب كبير من الشعر الجاهلي ، مستفيداً من تقنية الحاسب الآلي ، وبخاصة الشعر المجموع من طريق المجمع الثقافي في أبو ظبي .

في النظرات السريعة تجاه الشيب فلم تكن طبيعة بناء القصيدة التي يقتضي بدؤها بالنسيب تتيح للشاعر أن يعبر عن مشاعره تجاهه الشيب بوصفه غرضاً مستقلاً يحظى بنظرات أكثر عمقاً وشمولاً ، وإنما كان الشاعر يلم به إلماماً سريعاً ينتقل بعده إلى موضوع آخر يقتضيه السياق. وذلك فيما أرى كان سبباً في صرف الشعراء الجاهليين عن الوقوف بتأن عند هذه القضية وسبر أغوارها وكان سبباً في حرماننا من رؤية أوسع عن الشيب في الشعر الجاهلي .

ويتكـــرر الحديث في الشعر الجاهلي عن العلاقة الأزلية بين الرجل والمرأة، وتلـــك الصورة المتمثلة في صدود المرأة عن الرجل بعد أن تظهر عليه علامات الكبر والضعف ومنها بالطبع ظهور الشيب.من ذلك رؤية امرئ القيس لأخلاق النساء وهي إعراضهن عن صنفين من الرجال أحدهما من قلّ مالُه، والآخر من خطه الشيب،وظهر ضعفه حيث يقول :

أراهنَّ لا يُحْبِبْنَ من قلَّ مالُهُ ولا من رأينَ الشيبَ فيه وقَوسَا(١)

كما يرى علقمة الفحل أن الشيب، وقلة ذات اليد من أهم الأسباب التي تدعو النساء للإعراض عن الرجل فيقول :

فـــإن تســـألوني بالنساء فإنني خـــبـــير بـــأدواء النســـاء طبيب
إذا شـــاب رأس المرء أو قل ماله فلـــيس له مـــن ودهـــن نصيب
يـــردن ثـــراء المال حيث علمنه وشرخ الشباب عندهن عجيب (٢)

ومـــثله في ذلـــك عبـــيد بـــن الأبرص حينما ينكر على صاحبته انصرافها وإعراضـــها عـــنه لـــزعمها قلّة ماله وكبر سنّه ، وهي أمور تدفعها إلى تركه

(١)ديـــوان امرئ القيس ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، الطبعة الثالثة ، ١٩٦٩م ، دار المعارف بمصر ، ص ١٠٧ .

(٢) ديـــوان علقمـــة الفحـــل ، تحقيق: لطفي الصقال ، درية الخطيب ، الطبعة الأولى ، ١٣٨٩هـــ / ١٩٦٩م دار الكتاب العربي ص ٣٥ و٣٦ .

والإعراض عنه يقول :

زعمتْ أنّني كَبِــرْتُ وأنــــي ... قَــلَّ مالي وَضَنَّ عني المَوالي
وصحا باطلي وأصبحتُ كهلاً ... لا يُــؤاتي أمثالَها أَمْثَالي (١)

وقريب من ذلك قول أوس بن حجر :

وغيَّرها عن وصْلِها الشيبُ إنَّه ... شَفيعٌ إلى بيضِ الخُدورِ مُدَرَّبُ (٢)

كما انقطع حبل الصلة بين الأسود بن يَعْفُر النَّهشلي وصاحبته أسماء بعد أن ألم به الشيب فيقول :

قد أصبح الحبل من أسماءَ مصروماً ... بعد ائتلافٍ وحبٍّ كــان مكتومــا
واسْتبدلتْ خُلَّةً مني وقــد علِمتْ ... أنْ لَنْ أبيتَ بوادي الخَسْفِ مذموما (٣)
عَفٌّ صليب إذا ما جُلْبَةٌ أَزَمَتْ ... من خيرِ قَومِكَ موجوداً ومعدوما (٤)
لما رأتْ أن شيبَ الرأس شامــلهُ ... بعد الشبابِ وكانَ الشيبُ مسؤوما
صَدَّتْ وقالت : أرى شيباً تَفَرَّعهُ ... إن الشبابَ الذي يعلو الجَرَاثِيما (٥)

وتكررت الشكوى عنده ، فيذكر إعراض الغواني عنه وتحولهن إلى الشباب :

لهوتُ بِسِرْبَالِ الشــباب مُــلاَوةً ... فأصبح سِرْبَالُ الشــباب شَبَارِقاً (٦)

(١) ديوان عبيد بن الأبرص ، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م، ص ١١٤ .
(٢) ديوان أوس بن حجر، تحقيق وشرح: د. محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م ، ص ٥ .
(٣) الخسف : الذل .
(٤) الصليب : الصبور على الشدائد ، والجُلْبة : السنة المقحطة ، وأزَمت : عضت .
(٥) شـرح المفضليات للتبريزي ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار نهضة مصر للطبع والنشر، مصر ، القسم الثالث ١٣٩٢ – ١٣٩٤ ، والجراثيم : جمع جرثومة ، وهي أصل الشجرة تجمع إليه الرياح التراب .
(٦) ملاوة : قليلاً .شبارقاً: أي مقطعاً.

فأصبحَ بيضاتُ الخدور قد اجْتَوتْ لِدَاتِـــي وشْمنَ الناشئـــين الغَرَانِقَا [١]

فـــأقسمتُ لا أَشْرِيهِ حـــتى أَمَلَّهُ بشيء ولا أَقْـــلاَهُ حتى يفارقـــا [٢]

وإذا كـــان الشاعر الجاهلي قد عبّر عن الشيب مرتبطاً بالمرأة وإعراضها عنه فإنـــه تناول الشيب كحقيقة واقعة يعبر من خلالها عن اعترافه بأنه مرحلة من مراحل الضعف ، وقادمٍ ينذر بالعجز واقتراب الموت ، والأعشى يقرنه بما يعاينه من أمور أخرى تمثلت في همومه وعدم رؤيته في الليل فيقول :

فإنْ يُمْسِ عندي الشيبُ والهمُّ والعَشَى فقد بنَّ مني والسِّلام تُفَلَّقُ [٣]

ويقرنه لبيد بالهم الذي يتمثل في بعد الدار عن المحب وطول فراقه فيقول:

فإنْ تنأَ دارٌ أو يَطُلْ عهدُ خُلَّةٍ بِعَاقِبَةٍ أَو يُصْبِحِ الشيبُ شاملاً [٤]

وإذا كـــان الأعشى ولبيد قد وقفا عند الهم الذي يقترن بالشيب وقفة عابرة فـــإن شاعرين آخرين وقفا وقفات متأملة تؤكد مقدار تأثيره في نفسيهما هما : زهير بن أبي سلمى وسلامة بن جندل ؛ فزهير ينظر إلى الشباب على أنه مرحلة من مراحل العمر انساق فيها قلبه وراء الغواية وأنه لم يكن غير سكرة أفاق منها فيقول :

صـــحا القلبُ عن سلمى وأقصرَ باطِلهْ وعُـــرِّيَ أفراسُ الصبِـــا ورواحلهْ [٥]

---

(١) اجتوت : كرهت . لداتي : اللدة : من ولد وتربى معك . الغرانق : جمع الغرنوق : وهو الشاب الأبيض الجميل .

(٢) التبيان في كتاب النوادر في اللغة لأبي زيد الأنصاري ، تحقيق د. محمد عبدالقادر أحمد ، الطبعة الأولى١٩٨١م/١٤٠١هـــ ، دار الشروق، بيروت ، ص ٢٣٢ ، ولا أقلاه : أي لا أمله .

(٣)ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس ، شرح وتعليق : د. محمد محمد حسين ، المكتب الشرقي للنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، مصر ، ص ٢٥٣ . والسِّلام : بكسر السين : الحجارة .

(٤) شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري حققه وقدم له د. إحسان عباس ، التراث العربي. الكويت ١٩٦٢م، ص ٢٤٥ .

(٥) عُرِّي أفراس الصبا : مثل ، يقول : ترك الصبا وترك الركوب فيه ، والمعنى : تركت اللهو والصبا .

وأقصـــرتُ عمَّا تعلمينَ ، وسُـــددتْ علـــيّ ، سوى قصدِ السبيلِ معادلهْ

وقـــال العذارى: إنمـــا أنت عمُّنـــا وكان الشبابُ كالخـــليط نُزَايـــلهْ

فأصبحـــتُ لا يعـــرفنَ إلا خـــليقتي وإلا سوادَ الرأس والشيبُ شاملهْ [١]

وتتضـــح السخرية المرة التي نجدها من خلال قول العذارى (إنما أنت عمنا) بعـــد أن كـــن يلاعبنه ويبادلنه مشاعر الحب واللهو، ولم يبق بينه وبينهن من وشائج الود إلا ما اعتدنه من كريم خلقه وطباعه.

ويرى الدكتور محمد النويهي أن الشاعر هنا يودع الشباب أكثر مما يتحدث عن رحيل محبوبته وإعراضها عنه [٢].

وتـــأتي نظـــرة سلامة بن جندل خالية من ارتباطها بالنساء على الرّغم من تناولها في مطلع القصيدة ، وهي نظرة رائعة يوازن فيها بين الشباب والشيب ، وفي تلك الموازنة يتحسرالشاعر على الشباب الذي تحمد أيامه وعواقبه ، وتقترن باللـــذة في الوقت الذي تخلو أيام الشيب من كل ذلك ، وتزداد الصورة جمالا وتألقـــاً حـــين يجعل الشاعر الشيب طالباً والشباب مطلوباً، وتتسارع الملاحقة بينهما في سباق ينتهي في نهاية المطاف بانتصار الشيب.

أودى الشـــبابُ حميداً ذو التعاجيبِ أودى وذلك شأوٌ غيرُ مطلـــوبِ

ولّى حثيـــثاً وهـــذا الشيب يطـــلبه لو كان يُدرِكُهُ رَكْضُ اليعَاقِيبِ [٣]

أودى الشـــبابُ الـــذي مجدٌ عواقبهُ فيـــه نَلـــَذُّ ولا لذّاتَ للشيبِ [٤]

(١) شـــرح ديوان زهير بن أبي سلمى ، صنعة أبي العباس ثعلب ، قدم له ووضع فهارسه : د. حنا نصر الحتي ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ/١٩٩٢م ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ص ١١٣ .

(٢) انظر : الشعر الجاهلي ، منهج في دراسته وتقويمه ، د . محمد النويهي ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ٥٧٠ — ٥٧٨ .

(٣) اليعاقيب : جماعة يعقوب وهو ذكر القَبج (الحجل) .

(٤) ديوان سلامة بن جندل ، صنعه محمد بن الحسن الأحول ، تحقيق : فخر الدين قباوة ، الطبعة الثانية ١٤٠٧ — ١٩٨٧م ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ص ٨٨ — ٩١ .

ومـــع ذلك الإحساس عند الشعراء بأن الشيب من مكدرات الحياة ، فإن الشاعر الجاهلي وهو يمر بهذه المرحلة التي يشعر فيها بتغير أحواله ، لا يلبث أن يـــزرع في نفسه نغمة أمل ، ويبث فيها قدراً من السلوى بذكر ماضيه وأنه لا يزال قادراً على المضي في مباهج الحياة كما يريد ، فهذا أبو كبير الهذلي يتسلى بذكر ماضيه وشجاعته فيقول :

ذهبَ الشبابُ وفات منِّي ما مضى ونضا زهيرُ كـَـرِيهتي وتَبَطُّلي [(١)]
وصحوتُ عن ذكرِ الغواني وانتهى عمري وأنكــرتُ الغــداةَ تَقَتُّلي
أَزُهــَيرُ إن يَشِب القَــذَالُ فإنَّني رُبَّ هَيضَلٍ مَرِسٍ لَفَفْتُ بهَيضَلِ [(٢)]
فَلَفَفْـــتُ بَينَهـــُمُ لِغــيرِ هــَوادةٍ إلا لسفــكِ للدِّمـــاءِ مُحـــَلَّلِ
حـــتى رأيتُ دِمـــاءهمْ تغشاهمُ وُيفَــــلُّ سيفٌ بينهمْ لم يُسْلَلِ [(٣)]

ومثله في ذلك عبيد بن الأبرص فقد ردّ مزاعم صاحبته بقلّة ماله وكبر سنه – كمـــا تقـــدم في البيتين السابقين له – إذ أراها من نفسه وطباعه ما يخالف زعمهـــا ، وذكر أنه لا زال قادراً على إرضائها، ويمضي في حديثه إلى أبعد من ذلك فيؤكد أنه غير فكرها عنه إلى درجة جعلتها تُفدّيه بنفسها فيقول :

إن رأتنِـــي تغــــيرَ اللونُ منِّي وعـــلا الشيبُ مَفـــْرِقي وقَذَالي
فـــبما أدخـــلُ الخباءَ على مهْـــ ضومةِ الكَشْحِ طَفْلَة كالغزالِ [(٤)]
فتعاطـــيتُ جِـــيدَها ثمَّ مـــالتْ ميـــلانَ الكثيبِ بين الرمـــــالِ

---

(١) نضا : انسلخ .

(٢) القـــذال :وهـــو ما بين الأذنين القفا . هيضل : الهيضل والهيضلة هم الجماعة من الناس يغزى بهم .مرس :ذو مراسة وشدة

(٣)كتاب شرح أشعار الهذليين لأبي سعيد السكري ، حققه : عبدالستار أحمد فراج ، راجعه : محمود شاكر ، مكتبة دار العروبة ، ١٠٦٩/٣ – ١٠٧٠ .

(٤) المهضومة : الضامرة ، الكشح : الخاصرة . الطفلة : الرخصة .

ثمَّ قالــت فــدىً لِنَفْسِكَ نفسي   وفــداءٌ لمــالِ أهــْلِكَ مالي[1]

ولا أحســب أن عبيد بن الأبرص بقي على مكابرته رافضاً دعوى صاحبته فما هي إلا ومضة وانتفاضة لم تلبث أن خمدت وعاد الشاعر يندب أيام شبابه الأولى، ويزري بحال من حلَّ الشيب بساحته فيقول في قصيدة أخرى :

بانَ الشبابُ فآلى لا يُلِمُّ بِنـــا   واحتلَّ بي من مُلِمِّ الشَّيبِ مِحْلالُ

والشــيبُ شَــينٌ لمنْ يحتلُّ ساحَتَهُ   لله درُّ ســـوادِ الَّلمَّةِ الخالي[2]

ولعــل في موقف عبيد هذا تفسيراً آخر لما نجده من اختلاف نظرة الشعراء تجــاه الشــيب بين مكابر ينفي الضعف عن نفسه، وآخر يقر بواقعه ويعترف بحقــيقة أمره، وما أصبح عليه من وهن وضعف، وكذلك في تغير النظرة عند الشاعر نفسه.

ذلــك أن الشــاعر في أول أمره حين يدهمه الشيب وتظهر بوادره عليه من خلال بياض شعره فإنه لا يشعر بالوهن والضعف ، وتظل روحه متوثبة قادرة ، وجسمه قوياً صحيحاً ، فينكر تبعاً لذلك ما ارتبط بالشيب .

أما حين يمتد به العمر وتبدأ مظاهر الضعف وآيات الكبر ، فإنه يقرّ بواقعه ، ويشعر أنه لم يعد قادراً على التمتع بملذات الحياة ومباهجها ، كما يسيطر عليه إحساس ممض بالغربة في مجتمع فقد فيه من يحب ، وتنكر له أهله وذووه .

ويصور عامر بن جوين الطائي ما يصيب المرء في شيخوخته من هرم ، وما يتملكه من الوحشة بعد موت أهله :

المــرءُ يبكي للسَّــلا   مــةِ والسلامــةُ لا تُحسّهْ

أو ســالمٌ من قد تثنى   جلــدهُ وابيضّ رأســُهْ ؟

---

(١) ديوان عبيد بن الأبرص ، ص ١١٤ .

(٢) ديوان عبيد بن الأبرص ، ص ١١١ .

أو دبَّ مـــن هرمٍ وأو دى سمعهُ وانْفَقَّ ضرسُهْ [١]
أودى الـــزمانُ بأهلـــه وبأقـــربيهِ فقـــلَّ أنسُهْ [٢]

وفي ظـــل هذا الوهن والضعف والإحساس بالغربة يسيطر على المرء شعور باليأس فيعلن ملله من تلك الحياة ، وهو ما تكرر عند زهير بن أبي سلمى ولبيد ابن ربيعة .

ويقابل تلك النظرة اليائسة عند بعض الشعراء ، نظرة أخرى تتمثل في إدراك الشـــعراء واقعهـــم من الوهلة الأولى التي دهمهم فيها الشيب ، ومن ثم وجدوا سلوتهم أمام ذلك الوافد بذكر ماضيهم ، وما حفل به من فتوة وشباب ، وما وصلوا إليه من مكانة في قبائلهم .

وأحســـب أن تعداد المآثر في تلك المرحلة من العمر مما يصدق على الإنسان في حالات الضعف حيث يجد فيه متنفساً وسلوة تلهيه عن منغصات الشيب ، وعذابات الكبر ، وهو ما فعله ربيعة بن مقروم الضبي حيث يذكر أن له تاريخاً مجـــيداً في مقاومة خصومه ونصرة مواليه ، وإكرام ضيفه، وقيادة الخيل، وحماية الذمار :

فإمَّـــا تَـــريني قـــدْ تركتُ لجاجتي وأصبحتُ مبيضَّ العذارينِ أشيبَا [٣]
وطاوعـــتُ أمرَ العاذلاتِ وقد أُرى عليهن أبـــاءَ القَـــرينة مشْغَـــبا [٤]
فـــيا رُبَّ خصـــمٍ قد كفيتُ دفاعَهُ وقـــومتُ منـــهُ درأَهُ فَتَنكَّبَـــا [٥]

(١) انفقّ : انفرج .

(٢) المعمرون والوصايا لأبي حاتم السجستاني ، ص ٥٣ .

(٣) اللجاجة: ألا يلتفت إلى لوم لائم ، ولا عذل عاذل ، وأن يقيم على ماهو عليه .

(٤) القرينة : النفس .

(٥) درأه : خلافه واعوجاجه .

ومـــولىً علـــى ضنْكِ المَقَامِ نصرتُهُ   إذا النِّكْسُ أَكــبى زَنْدُه فتذبذبا [1]
وأَضـــيـــافِ لـــيلٍ في شَمالٍ عَريَّةٍ   قريتُ من الكُومِ السَديفِ المُرَعبا [2]
وواردةٍ كـــأنهـــا عُصَـــبُ القَطـــا   تُثيرُ عَجاجاً بالسنابكِ أصهـــبا [3]
وزَعْـــتُ بمثـــلِ السيدِ نَهْدٍ مُقَلَّصٍ   كَميشٍ إذا عِطْفـــاهُ مـــاءً تحلَّبا [4]

وكـــأني بالشاعر الجاهلي وهو لم يعد قادراً على تمثل تلك الحياة الصافية بما فيها من فتوة وشباب، فلا أقل من أن تبقى ماثلة في مخيلته، تبعث في نفسه قدراً من السلوى، وتذهب عنه ما يعانيه من مظاهر الضعف والهوان.

كما أنه وهو يردد تلك المشاهد المضيئة من حياته يردّ على تساؤل ظهر في عـــيون الآخرين وقد رأوا ضعفه وعجزه عن القيام بكثير من أمور الحياة ، بأن علـــيكم أن تعلموا أن هذا الشيخ الضعيف العاجز كان في يوم من الأيام رجلاً يهابـــه الأقـــران ، ويهب في حاجة أهله وقومه بكل توثب ونشاط ، وتسعى الغـــواني إلى كســـب ودّه ورضاه ، وليس شرطاً بعد ذلك أن يقتنع الآخرون بالقدر الذي أدى فيه مهمته وردّ على نظرة الآخرين تجاهه .

وأمـــر آخر له أهميته يتعلق بتناول الشعراء الجاهليين للشيب ، وهو سيطرة

(١) المـــولى : هو ابن العم .الضنك :الضيق ،والمعنى نصرته على شدة الأمر والوقت ،والنكس :الرديء من الرجال .وأكبى: لم يأت بشيء ، وتذبذب :اضطرب.

(٢) الكـــوم : العظام الأسنمة ، والسديف : شُطب السنام ، والمرعب : المقطع ، وشمال عرية : شديدة البرد .

(٣) الـــواردة : قطـــع الخـــيل ، عصب القطا : جماعاتها الواحدة ، عصبة ، شبهها بالقطا في سرعتها ، والسنابك : أطرف حوافر الخيل ، أصهبا : يعني الغبار في لونه .

(٤) الأبيات في شرح المفضليات للتبريزي ، تحقيق : علي محمد البجاوي دار نهضة مصر للطبع والنشر ، ص ١٢٦٧ ، وقـــوله : .وزعت : كففت بفرس مثل السيد ، والنهد : الضخم ، المقلص : الطويل القوائم . كميش : جاد في عدوه إذا تحلب عرقه ، عطفاه : جانباه .

النظرة الشخصية للشاعر ، وما عرف من طباعه ومسلكه في الحياة على حديثه عـــن الشـــيب ، فنظرة امرئ القيس تنطلق من طبعه الماجن في الحياة ، ورغبته الجامحة المتمثلة في التشبيب بالنساء والسعي إلى محادثتهن ، ومن ثم كانت نظرته للشيب نابعة من إعراضهن عن المرء بعد أن وخطه الشيب ، وأدركه الضعف يقول :

أَرَاهنَّ لا يُحببنَ من قلَّ مالهُ ولا من رأينَ الشيبَ فيه وقَوسا (١)

وعامـــر بن الطفيل يربط الحديث عن الشيب بالموت ورهبته ، فقد كان في شبابه لا يهاب الموت ولا يخشاه ، وهو الفارس المعروف ، فيقول:

رهبتُ وما من رهبةِ الموتِ أجزعُ وعالجتُ همّا كنتُ بالهمِّ أُولَعُ
وليداً إلى أن خالطَ الشيبُ مَفْرقِي وأَلبسني منهُ الثَّغامُ المتَّرعُ (٢)

وتخـــتلف نظـــرة النابغة الذبياني للشيب عن سابقيه ، فهو معروف برزانته وتعقلـــه فلـــم يكن زير نساء ، ولا داعية حرب ، و لم يؤثر له شعر في حرب داحس والغبراء مع أنها كانت بين قومه ذبيان وبني عمهم عبس، والنابغة ينكر التصـــابي على من شمله الشيب ، وهي نظرة تتفق مع مسلكه المسالم في الحياة يقول :

دعاك الهوى واستجهلتكَ المنازلُ وكيف تصابي المرء والشيبُ شاملُ (٣)

---

(١)ديوان امرئ القيس ، ص ١٠٧ .

(٢)ديوان عامر بن الطفيل ، رواية أبي بكر محمد بن القاسم الأنباري عن أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م ، ص ٨١ ، والثغام : بالفتح نبت يكون في الجبل يبيض إذا يبس .

(٣)ديـــوان النابغة الذبياني ، شرح وتعليق : حنا نصر الحتي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ/١٩٩١م ، ص ١٣٧ .

والشـــاعر هنا لا يكابر ، بل يقرّ بحقيقة الحياة المتمثلة في أن لكل مرحلة من مراحل العمر ما يناسبها ، فمن اشتمل عليه الشيب حقيق به أن يكون أكثر دراية وتعقـــلاً ، وهو يؤكد على تلك الدعوة في قصيدة أخرى حيث يلوم نفسه وقد وقف على ديار الأحبة فلم يتمالك عبراته من التذكر ، وحمّل الشيب وزر ما فعله بالصـــبا ، ولكنه ما لبث أن صحا من ذكرياته ورأى أن الأجمل والأجدر به أن يقلع عن كل ذلك ، وأن يجعل من الشيب منعطفاً إلى حياة أكثر تعقلاً ورزانة :

على حين عاتبتُ المشيبَ على الصبا   وقلتُ ألَمَّا أصحُ والشيبُ وازعُ [١]

وإذا كانت نظرة الشاعر الجاهلي – كما قدمت – تنطلق من رؤيته الخاصة وطبيعة حياته ، فإن ذلك لا يمنع من الإقرار بحقيقة الشيب ، وما يجب أن يتسم به مَنْ خطه الشيب ، حتى لو كانت حياته مليئة بالطيش والنزوات ، ولذلك نجد الأعشى يعترف بحقيقة الشيب ، وأنه يجب أن يقترن بالحياء حين يقول :

فاقنَ حياءً أنتَ ضَيَّعْتَهُ   مالكَ بعد الشيبِ من عاذرِ [٢]

كمـــا أنـــه يعترف من خلال رؤية صاحبته في قصيدة أخرى بأن البشاشة والفرح مجانبان للشيب ، وعليه تبعاً لذلك أن يفيق من صبوته ونزواته :

ورأتَ بـــأن الشـــيبَ جـــا   نَـــبَهُ البشـــاشـــةُ والبَشـــارةْ
فاصـــــبرْ فإنـــكَ طـــالمـــا   أَعْمَلـــتَ نفســـكَ في الخسارةْ
ولقـــد أَنَـــى لـــكَ أنْ تُفيـــ   قَ مـــنَ الصَّبَابةِ والدَّعارةْ [٣]

وتتضح الحسرة الممضة التي يعانيها الأعشى في شكواه لصاحبته بأنه لم يعد

---

(١) العمدة لابن رشيق القيرواني ، تحقيق : محمد محيي الدين عبدالحميد ٢٣٧/١ .

(٢) ديوان الأعشى الكبير ، تحقيق : محمد محمد حسين ، ص١٧٩ ، واقتنى الشيء : لزمه .

(٣) المصدر السابق، ص ١٩١ .

كما كانت تعهده في سابق أيامه ، فقد تغيرت حاله بعد الشيب فيقول :

وإنَّ أخـــاكِ الــذي تعلمينَ   لياليــنـــا إذْ نَحُلُّ الجِفَارا [(١)]
تــبدلَ بعــد الصبى حِكْمةً   وقَـــنَّعَهُ الشَّــيبُ منـــهُ خِمَارَا
أَحــــلَّ بـــهِ الشيبُ أَثقالَهُ   وما اعْتَرَهُ الشيبُ إلا اعتِرارا[(٢)]

والنظـــرة الغالـــبة عند الشعراء الجاهليين تحمل في مضامينها اتفاقاً بأن لكل مـــرحلة مـــا يناسبها ، فالشباب مرتبط باللذات والغارات ، وإظهار القوة ، والشيب نقيض ذلك كله ، ومن كمال المرء في أخلاقه ومثله أن يبتعد في كبره عن كل ممارساته المتسمة بالطيش والانسياق وراء هوى النفس ، ومن ذلك ما نجده عند عدي بن زيد العبادي حيث يجرد من نفسه زاجراً يلومه على التصابي وقد خالط الشيب رأسه فيقول :

تصبو فأَنىَّ لكَ التصـــــابي   أَنَّى وقَد رَاعَكَ المشيبُ [(٣)]

وحين يعدد دريد بن الصمة خصال أخيه المقتول في مرثيته المشهورة يذكر منها بعده عن الباطل بعد أن علاه الشيب فيقول :

قلـــيلُ التَّشَـــكِي للمصيباتِ حافظٌ   من اليومِ أعقابَ الأحاديثِ في غَدِ
صَبا ما صَبا حتى علا الشيبُ رَأْسَهُ   فلما علاهُ قـــالَ للباطلِ ابعَدِ [(٤)]

ومن خلال ما تقدم تتضح لنا ملامح من رؤية الجاهليين للشيب ومدى تأثيره في نفوس الشعراء ، فهو المرحلة الأخيرة من حياة امتدت طويلاً و لم يعد بعدها

---

(١) الجفار : موضع بالبصرة .

(٢) ديوان الأعشى الكبير ، ٨١ ، واعتره الشيب : عرض له ، والمعتر : الذي يتعرض للمسألة ولا يسأل .

(٣) البيت لعدي في ديوانه ٢٥ ، كما ينسب لعدي بن زيد في مقاييس اللغة لابن فارس ، تحقيق : عبدالسلام هارون ، الطبعة الثانية ١٣٩٠هـ /١٩٧٠م ٢٣٢/٣ وفي للسان مادة (شيب) .

(٤)الحماسة لأبي تمام ، تحقيق : د. عبدالله عسيلان ، مطابع جامعة الإمام ، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م ، ٣٩٨/١ .

حياة ترجى ، أو طباع تتغير حتى قال زهير بن أبي سلمى :

وإن سَفَاهَ الشيخِ لا حِلْمَ بعـــدهُ   وإنَّ الفتى بعدَ السفاهةِ يَحْلُمِ [1]

ومن المؤكد أن هذا الفصل الأخير من تلك ا لحياة يعني أن الشاعر الجاهلي اتخذ موقفاً يقضي به الأيام الأخيرة من عمره وهو موقف يمتد إلى النظر في الحقيقة الأعظم وهي حقيقة الحياة والموت ، ومن المعلوم أن أغلب الجاهليين كانوا وثنيين لا يؤمنون بالبعث ، ولا باليوم الآخر ، وأكد القرآن الكريم هذه الحقيقة في قوله تعالى : ﴿ **إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ** ﴾ [2].

وتبعاً لذلك الاعتقاد لم يكن في خلد الجاهليين ما يدفعهم إلى تكييف حياتهم على النحو الذي يراعون فيه طبيعة الحياة الأخرى وما ينبغي حيالها من عمل أو توجه في الحياة الدنيا، أو تصور لطبيعة الدار الآخرة.

ومن هنا يمكن تفسير رؤيتهم للحياة الدنيا ، وما اتخذوه من مواقف تتراوح بـــين تسل عن الموت بذكر الشباب وما حمله في طياته من ذكريات جميلة يجد فـــيها الشاعر سلوته ، وبين مكابر لا يعترف بالشيب وما ينذر به من الضعف والكبر ، وآخر يسارع إلى اللذات قبل فواتها ، ورابع يعترف بأن الشيب مرحلة مـــن مراحل العمر حري بالإنسان أن يتسم فيها بالرزانة والتعقل ، ويأمل تبعاً لذلك أن يحظى بكريم الذكر .

ومما يؤكد النظرة الأولى في إحساس الشاعر بالموت وهو يتحدث عن الشيب أن هـــذه النظرة جاءت مماثلة لنظرات أخرى لم يكن الشيب باعثها كما فعل عبد يغوث بن وقاص الحارثي ، فقد أسره بنو تيم الرباب وأراد أن يفدي نفسه فأبوا عليه وأصروا على قتله فطلب منهم أن يطلقوا لسانه ليرثي نفسه ، وكان

---

(١)شرح المعلقات السبع للزوزني ، الطبعة الأولى ، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م ، عالم الكتب ، بيروت ، ص ٩٤ .

(٢)سورة المؤمنون آية (٣٧).

مما ورد في قصيدته فخره بنفسه ، وهو في اعتقادي تسلية لنفسه حين أحس بالضعف واقتراب الموت يقول:

وقدْ عَلِمتْ عِرْسِي مُلَيكَةُ أَنني ... أنا الليثُ معْدُوًّا علّي وعاديا
وقدْ كنتُ نَحَّارَ الجَزُورِ ومُعْمِلَ الـ ... مطِيِّ وأمضي حيثُ لا حيَ ماضيا
وأنحرُ للشَرْبِ الكرامِ مطيتي ... وأصدعُ بين القينتينِ رِدَائيا
وكنتُ إِذا ما الخيلُ شَمَّصَها القَنا ... لبيقاً بتصريفِ القناة بنانيا (١)

وإذا كنت قد بينت نظرة الجاهليين للشيب وأنها تعتمد على تلك الرؤية القاصرة في رؤيتهم للحياة دون أن يتجاوزوها فإنني أتوقف عند لمحة خاطفة في شعر عدي بن زيد العبادي وهي قوله:

وابيضاضُ السوادِ من نُذُرِ المو ... تِ وهل مثلهُ لحي نذيرُ (٢)

ولعل هذه النظرة تنبثق في اعتقادي من رؤية وأثر ديني يتصل بعقيدة الشاعر ، وقد عاش في إمارة الحيرة واعتنق النصرانية ، فكانت هذه الرؤية التي ترى الشيب من نذر الشر ، وتعده مذكراً لصاحبه ، رادعاً له عن الخطيئة والزلل .

وبعد، فإن الشاعر الجاهلي وهو يتناول الشيب في شعره لم تخل رؤيته من وقفة تأمل أمام هذا القادم ، وهي وقفة لم تكن في الغالب تتسم بالود، وكانت تحمل في داخلها إحساساً بالفقد ، كما أنها مرت سريعة متعجلة عند أكثر الشعراء، ومردّ ذلك في اعتقادي أن الحديث عن الشيب ورد ضمن سياق عام يلتزم فيه الشاعر ببناء القصيدة و لم يكن الشيب مقطعاً رئيساً في ذلك البناء بل

---

(١) المفضليات ، اختيار المفضل الضبي ، تحقيق وشرح : أحمد محمد شاكر ، وعبد السلام هارون ، الطبعة الخامسة ، نشر دار المعارف ، ١٩٧٦ ، ص ١٥٨ . وشمصها : طردها طرداً عنيفا .

(٢) البيان والتبيين للجاحظ ، تحقيق وشرح : عبد السلام هارون ، الطبعة الخامسة ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م ، مكتبة الخانجي ، ٣٣٣/٢ .

جـــزءاً من المقطع الخاص بالنسيب أو التشبيب ، ولو قدر للشاعر الجاهلي أن ينظر للشيب نظرة مستقلة لكان حديثه عنه أوسع ونظرته أكثر عمقاً ودراية .

موقف الشعراء من الشيب في العصر الإسلامي:

قبل النظر في النصوص الشعرية التي ورد فيها الحديث عن الشيب في العصر الإسلامي أذكر بالهدف الذي أرمي إليه وهو معرفة التأثير الذي أحدثه الإسلام في رؤيـــة الشعراء للشيب ، وهل تغيرت تلك الرؤية التي رأينا أبرز ملامحها في الحديث عن رؤى الجاهليين للشيب ، وما اتسمت به وقفاتهم عنده .

وواقـــع الأمـــر أن الـــبحث عـــن تصـــور جذري مختلف تجاه رؤية شعراء صدرالإسلام للشيب لا يمكن قبوله ، والمطالبة به ، فالمعروف أن القضايا الأدبية ، وما يكتنف النص الأدبي من تغير في المضمون والشكل يحتاج إلى فترة من التمثل ليصبح ظاهرة تجري على ألسنة الأدباء .

ورؤية الجاهليين التي مرت معنا تجاه الشيب لا تحمل في مضامينها تصادماً مع الرؤية الإسلامية ، ولا يمثل التوقف عنها مطلباً شرعياً ، وهي في مجملها أقرب إلى طبيعة النفس البشرية ، المتمثلة في الإقبال على الحياة ومباهجها ، والإحساس بالحسرة والضعف حين يجد الإنسان نفسه عاجزاً عن القيام بما كان يقوم به في شـــبابه ، وافـــتقاده لذة الأشياء، وعزوف الآخرين عنه ، كل ذلك رأيناه في نصوص الجاهليين متمثلاً في الإحساس بالمرارة تارة والمكابرة تارة أخرى ، وقد يتمثل في التسلي بالماضي ، وما يحمله من ذكريات جميلة .

ومـــن هذا المنطلق نجد أن التعبير عن هذه الرؤية ظل يتردد في شعر عدد من الشـــعراء المخضـــرمين والإسلاميين من أمثال لبيد بن ربيعة وحسان بن ثابت وغيرهما .

ويـــرد نص لحسان بن ثابت رضي الله عنه يذكرنا بما ورد عند زهير بن أبي

ســلمى مــن تغير نظرة العذارى تجاهه وانتقالهن من التودد والتقرب منه إلى مناداته بلقب يترل على مسامعه نزولاً يؤرقه ويؤثر في نفسه ، يقول :

كبرتُ كذاك المرءُ ما عاش يكبرُ
وقــــد يَهْرَمُ الباقي الكبيرُ الُمعَمَّرُ

لقد كنَّ يــأتينَ الغواني يزرنني
بــأَردَانِها مِسْــكٌ ذكــيٌ وعَنبَرُ

ولما رأينَ البِيضُ شيــبي وذَرنَني
ونادينــني يا عمُّ والشيبُ يُؤْذِرُ(١)

تَنفّرنَ عنّي حينَ أبصرنَ شَامِلاً
على مَفرِقي كالقطنِ بل هو أَنْورُ(٢)

وتبرز قضية الصراع بين الشيب والشباب في شعر الإسلاميين كما سبق أن رأيــناها عند سلامة بن جندل حيث تتكرر الصورة مرة أخرى عند الفرزدق حــين جعل الشيب والشباب جيشين يتصارعان صراعاً ينتهي بغلبة الشيب ، ولكــن الشــاعر وهو يشاهد الأحداث ويعيشها لا يسره ذلك النصر فينعت الشباب المهزوم بالخير والشيب المنتصر بالشر حيث يقول :

أرى الــدهــرَ أيــامُ المشيبِ أَمَرَّهُ … علينــا وأَيــــامُ الشَّبابِ أَطايبهْ
وفي الشــيبِ لـــذاتٌ وقُرَّةُ أعين … ومــن قبلِه عيشٌ تعلَّلَ جَــادِبــهْ
إذا نــازلَ الشــيبُ الشبابَ فأصْلَتا … بِســيفِهِما فالشيبُ لا بُدَّ غَالبه(٣)
فــيا خــيرَ مهزومٍ ويا شرَّ هــازمٍ … إذا الشــيبُ راقَتْ للشباب كَتَايبُهْ

(١) وذرنني : قطعنني وتركنني .

(٢) ملــوك حمير وأقيال اليمن ، نشوان الحميري ، تحقيق السيد علي المؤيد وإسماعيل الجرافي، المطبعة السلفية ، ١٣٧٨هــ ص٩٨-١٠١ .

(٣) أصلت السيف : جرده من عمده .

وليس شبابٌ بعدَ شيبٍ بِرَاجعٍ يدَ الدَّهرِ حتى يَرْجعَ الدَّرَّ حَالِبُهْ[1]

وكما أكثر الجاهليون من ترديد صورة انقطاع المودة من المحب بعد ظهور الشيب ظل ذلك ماثلاً في شعر المخضرمين والإسلاميين وهو ما عبر عنه عمرو بن شأس في قوله :

تذكَّر حبَّ ليلى لاتَ حِينا وأمسى الشيبُ قدْ قَطَعَ القَرينا [2]

كما اشتكى منه عمر بن أبي ربيعة في قوله :

رأينَ الغواني الشيبَ لاحَ بِمفْرقي فأَعْرضنَ عنّي بالخدودِ النَواضرِ
وكنَّ إذا أبْصرْنَني أو سَمِعنَ بي سعين فرقَّعْنَ الكُوى بالمَحاجرِ[3]

وكما وجد الجاهليون في التسلي بماضيهم المشرق سلوة للتنفيس عن نفوسهم من آثار الشيب وغصصه . نجد ذلك عند خُفَاف بن نُدْبَة ، وهو أحد الشعراء المخضرمين حيث بكى شبابه وتسلى بماضيه ، وما كان عليه من مروءة وشجاعة ، يقول :

فإما تَرِيني أقصرَ اليومَ باطِلي ولاحَ بياضُ الشَّيبِ في كُلِّ مَفْرقِ
وزايلني رَيقُ الشَّبابِ وظِلّه وبُدلْتُ منهُ سَحق آخرَ مُخْلَقِ [4]
فعشرةُ مولىً قد نَعَشْتُ وأُسْرَةٍ كِرَامٍ وأبطالٍ لدى كُلِّ مَأزقِ
وَحَرَّةِ صَادٍ قد نَضَحْتُ بِشَرْبَةٍ وقد ذُمَّ قَبلي ليلٍ آخرَ مُطْرِقِ [5]

---

(١) ديوان الفرزدق، دار صادر ، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م ٤٨/١ .

(٢) شعر عمرو بن شأس الأسدي، د. يحيى الجبوري ، مطبعة النجف الأشرف ١٣٩٦هـ /١٩٦٧م ، ص٧٣

(٣) الوحشيات (الحماسة الصغرى) لأبي تمام ، علق عليه وحققه عبدا لعزيز الميمني ، وزاد في حواشيه محمود شاكر ، الطبعة الثالثة ، دار المعارف ، رقم النص ٤٨٤ ، ص ٢٩٠ ، وتروى لغيره .

(٤) ريق الشباب : أفضله وأوله . السحق: الثوب البالي ، عنى بذلك الشيب .

(٥) الأصمعيات ، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون ، الطبعة الخامسة بيروت – لبنان ص ٢٢ .

وإذا كــان خفاف بن ندبة قد عاش إلى زمن خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه مما يعني أنه قال هذا النص بعد إسلامه فإنني أجد من الصعوبة أن نحدد تاريخ النصوص المتعلقة بالمخضرمين التي خلت من رؤية إسلامية ، هل وردت بعــد إســلامهم أو قبله ؟ ولكن ارتباط الحديث عن الشيب بالتقدم بالسن قد يعزز الميل إلى أن هذه النصوص قيلت بعد إسلامهم .

ومع هذا فإن تحديد التاريخ أو عدمه لا يغير من الرؤية المتمثلة في بقاء المعاني والصور الجاهلية تتردد في أشعار الإسلاميين ، وهو ما يتضح من مجيئها في شعر عدد من الشعراء الذين عاشوا في العصر الإسلامي والأموي خاصة وفيهم على نحو واضح الشاعر الأموي جرير بن عطية ، فالصور الجاهلية تجاه الشيب تتكرر عــنده في خمس قصائد وهي تتراوح بين إنكار التصابي بعد حلول الشيب دون أن نجد بعد ذلك ما يدل على أثر إسلامي في نظرته للشيب كما في قوله :

ألا يا قلبُ مالكَ إذ تَصَابى　　　وهذا الشيبُ قد غلبَ الشَّبابا [(١)]

وقوله :

ألا تصحو وتُقصِر عن صِباكَا　　　وهذا الشيبُ أصبحَ قد عَلاكا [(٢)]

وإنكار العاذلات ما يرين من صبوته:

يقولُ العاذلاتُ عَلاكَ شيبٌ　　　أهـــذا الشيبُ يَمْنعُني مرَاحِي [(٣)]

وكثرة لومهن وتعنيفهن له :

قال العواذلُ هل تنهاكَ تَجْرِبَةٌ　　　أما ترى الشيبَ والأخدانَ قد دَلفوا [(٤)]

---

(١) شــرح ديوان جرير ، قدم له وشرحه تاج الدين شلق ، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، دار الكتاب العربي ، بيروت ص ٨١ .

(٢)المصدر نفسه ٤٤٧ .

(٣)المصدر نفسه ١٠٨ .

(٤)المصدر نفسه ٤٢٣ .

ولكـــن الذي نطمح إليه كما بينت يتمثل في معرفة التغيير الذي طرأ على نظرة الشعراء الإسلاميين تجاه الشيب ، وما اكتسبوه من رؤية جديدة تنطلق في مفهـــومها العام بين الرؤية الإسلامية تجاه الحياة والموت، والمصير الذي ينتظره المرء بعد موته ، وما ينبغي على المسلم أن يسعى إليه في حياته الدنيا .

وتأتي أهمية البحث عن هذه الرؤية من إدراكنا للتغيير الجذري الذي حدث عـــند المسلمين عن الحياة والموت ؛ فقد كانت النظرة الغالبة قبل الإسلام نظرة قاصرة محدودة يمثل فيها الموت النهاية الحتمية التي لا حياة بعدها ، ثم تحولت في العصـــر الإسلامي إلى نظرة أبعد وأشمل يمثل فيها الموت حدّاً فاصلاً بين حياتين يســـعى المسلم في الأولى منهما إلى المضي وفق منهج الله تعالى أملاً في صلاح حياته الأخرى .

ومـــن المـــؤكد أن من دخل في الإسلام أو نشأ في ظلاله يسعى تبعاً لذلك المفهوم لبلوغ الغاية الأجل والأعظم وهي الفوز برضى الله تعالى ودخول الجنة ، والناس مختلفون في السباق نحو تلك الغاية بين مجد ومقصر ، ومستشعر للعاقبة وغافل عنها .

ولنا بعد ذلك أن نتساءل بعد أن ترسخ هذا المفهوم في نفوس المسلمين، ما الذي يمثله الشيب في حياة المسلم عامة ، والشعراء بخاصة ؟

لقـــد أدرك المســـلمون أهمية الشيب في حياتهم، وأنه من أهم النذر بقرب الأجل، وقد روي عن الإمام مالك بن أنس قوله: الشيب توأم الموت، وقال عنه الحجـــاج: الشـــيب بريد الموت. وقال العتابي : الشيب نذير المنية[1]. وورد في البيان والتبيين : الشيب نذير الآخرة [2].

إن هـــذه النظـــرات التي مرت تؤكد على أهمية الشيب ، وإدراك المسلم أن

(١)انظر : اللطائف والظرائف لأبي منصور الثعالبي، الطبعة الأولى ،١٤١٢هـ/١٩٩٢م ، دار المناهل ، بيروت ٢٥٩ .

(٢) البيان والتبيين للجاحظ ٣٣٣/٢ .

وصوله لهذه المرحلة إيذانٌ بقرب الأجل ، وما الشعراء إلا جزءٌ من هذا المجتمع المســـلم يعبرون عن آماله وآلامه ، ويستطيعون أن يترجموا عن مشاعرهم من خلال الشعر ، وهم في ذلك يختلفون في النظر تجاه الشيب من منطلق اختلافهم الذي أشرت إليه آنفاً في استشعار الخوف من المصير أو تغافلهم عنه .

ومـــن خلال وقوفي على عدد كبير من النصوص التي قيلت في عصر صدر الإســـلام والعصـــر الأموي يتأكد مقدار ذلك التأثير عند الشعراء المخضرمين والإسلاميين.

ولعـــل في الأبيات التي تروى للإمام علي بن أبي طالب ـــ رضي الله عنه ـــ مـــا يـــؤكد على أهمية الشيب في حياة المسلم من تذكير بالموت ، وتحذير من الغفلة ودعوة للمسارعة للتوبة حيث يقول :

الشـــيـــبُ عُنْـــوانُ المنيــ ـــيةِ وهـــو تاريخُ الكِبَرْ
وبياضُ شعركَ موتُ شِعـــ ـــرِكَ ثمَّ أنتَ على الأثـــرْ
فـــإذا رأيتَ الشيبَ عـــ ـــمّ الرأسَ فالحذرْ الحذرْ (١)

كمـــا يـــرى الخليفة عمر بن عبد العزيز– رحمه الله تعالى– أن الشيب خير واعظ للمرء، ومتى بدأت ملامحه وجب على المرء أن يتوقف عن غيه فيقول :

انْـــه الفـــؤادَ عن الصـــبا وعـــنِ انقـــيادكَ للهـــوى
فلعمـــــرُ ربـــــكَ إنَّ في شـــيبِ المفـــارقِ والـــجلا
لـــكَ واعظاً لو كنتَ تتـــ ـــعـــظُ اتعـــاظَ ذوي النُّهى
حـــتى متـــى لا تَـــرْعَوي وإلى مـــــتى ؟ وإلى متَى ؟

(١)ديوان الإمام علي بن أبي طالب ، تحقيق د.محمد عبدالمنعم خفاجي ، دار ابن زيدون ، مكتبة الكليات الأزهرية ص ٧٩.

بــَلِـــيَ الشبابُ وأنتَ إن عُمِّـــــرتَ رهـــنٌ لِلْبِلـــى
وكفـــى بذلكَ زاجِـــــراً للمرءِ عـــن غَيٍّ كَفى ! (١)

لقد أصبح الشاعر في تلك الفترة ينطلق من رؤية جديدة اكتسبها من تعاليم الإسلام تمنعه من الانسياق وراء هوى النفس ، وتحذره من المصير الذي ينتظره ، وتدعـــوه إلى اغتـــنام ساعات العمر ، والتوبة قبل دنو الأجل، ومن هنا أصبح الإسلام في معناه العام رديفاً للشيب، ومؤكداً على تغيير المرء نهجه عند وصوله لهـــذه المـــرحلة من العمر ، يقول يزيد بن الحكم بعد أن اقتنع بزوال الدنيا ، وتقلب أحوالها :

ترى المرءَ يخشى بعضَ ما لا يُضيرُهُ ويَأَمـــلُ شـــيئاً دونَهُ المـــوتُ واقعُ
وما المـــالُ والأهـــلونُ إلاَّ ودَائِعٌ ولا بــــدَّ يـــومـــاً أن تُرَدَّ الودائعُ
فكـــلُ أَمانِـــيِّ امـــرئٍ لا ينَالُها كـــأضـــغاثِ أحْلامٍ يرَاهُنَّ هاجعُ
وفي الناسِ من بعضِ المطامعِ راحةٌ ويـــــا رُبَّ خيرٍ أدرَكَتْه المطـــامعُ
أبى الشيبُ والإسلامُ أن أتبعَ الهوى وفي الشِّيبِ والإسلامِ للمرءِ وازِعُ(٢)

ويضيف النابغة الشيباني إلى الإسلام والشيب عامل التقوى ، وهو نابع من الإســـــلام ، ويـــؤكد على ما يستشعره من نهي الإسلام والشيب عن الغواية فيقول :

وتُعجـــبــــُني اللذاتُ ثمَّ يَعُوجُنِي ويَستُـــرُني عنهـــا من اللهِ ســـاَترُ

(١) العمدة لابن رشيق القيرواني ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد (لم يرد ذكر دار النشر وتاريخه) ٣٨/١ .

(٢) الحماســـة البصرية لعلي بن الحسن البصري ، تحقيق د. عادل سليمان جمال ، الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـــ/١٩٩٩م ،مكتبة الخانجي .القاهرة . ٨٢٥/٢ ، رقم النص ٦٦٨ .

ويزجُرُني الإسلامُ والشيبُ والتُّقى   وفي الشيبِ والإسلامِ للمرءِ زَاجِرُ[1]

وهـــذا سحيم بن الحسحاس يقطع حبل المودة بينه وبين من يحب بعد أن خطه الشيب ، ونهاه الإسلام عن الغواية فيقول :

عميرةَ ودِّعْ إن تَجَهَّزْتَ غادياً   كفى الشيبُ والإسلامُ للمرءِ ناهيا[2]

وتتميز رؤية سحيم في جعلها مطلعاً لقصيدته ، وكأنه يقول إنه عازم على ذلك الأمـــر ولـــن يتـــراجع عنه ، وأن ما يرد في قصيدته بعد ذلك ما هو إلا حديث الذكريات الذي يتلذذ بذكره ، ويسلي عن نفسه ما يجده من غصة البعد ومرارته .

وهذه الرؤية التي تجمع بين الإسلام والشيب في رد الإنسان عن الغواية، والتي ترددت عند ثلاثة من الشعراء ، تؤكد أهمية اجتماع هذين العاملين في محاسبة الإنسان لنفسه من منطلق إسلامي يذكر المرء بأن الله تعالى قد أمهله حتى وصل إلى هذه المرحلة من العمر ، ومن منطلق إنساني يفترض معه أن لكل مرحلة من مراحل العمر ما يناسبها ، وقد ورد في الإصابة أن رسول الله ﷺ قال : (كفى بالإسلام والشيب للمرء ناهياً) ، فقال أبو بكر : إنما قال الشاعر : كفى الشيب والإسلام للمرء ناهياً ، فأعادها النبي ﷺ كالأول ، فقال أبو بكر : أشهد أنك لرسول الله ، وما علمناه الشعر وما ينبغي له [3] .

ومـــن المؤكد أن الأثر الإسلامي في نظرة الشعراء للشيب لا يقف عند هذا الحد ولكنه يتجاوزه إلى معان أكثر تفصيلاً تنطلق من الأثر الذي أحدثه القرآن الكريم وحديث رسول الله ﷺ في نفوسهم.

---

(١) ديوان النابغة الشيباني ، تحقيق د. عمر الطباع ، نشر شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم ، بيروت ـ لبنان ، ص ٦٦ .

(٢) الحماسة البصرية ، لعلي بن الحسن البصري ، ١٠٦٤/٣ ، رقم النص ٩٣٤ .

(٣) الإصابة لابن حجر العسقلاني ، دراسة وتحقيق عادل عبد المقصود ، والشيخ علي محمد معوض، الطـــبعة الأولى ١٤١٥هـــ /١٩٩٥م ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ٢٠٦/٣، والآية في سورة ياسين الآية ٦٩.

ويأتي في مقدمة المعاني التي تأصلت في نفوسهم – وإن لم تتضح صراحة في كل النصوص – رؤيتهم للحياة الدنيا والآخرة رؤية واحدة متصلة يسعى المسلم في الأولى منها سعياً يكفل له الحياة الكريمة ولا ينسى في خضم هذه الحياة علة وجوده وهي عبادة الله تعالى .

والمسلم الحق هو من يستطيع أن يوازن بين مطالب الدنيا والآخرة ، وقد بين الله تعالى ذلك من خلال قوله : ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ (1) .

لقــد جــرد الشاعر في عصر صدر الإسلام والعصر الأموي من نفسه رقيباً يحاسبه على التفريط وهو ما عبر عنه غالب بن عثمان الهمداني في قوله :

مـــا ذكركَ الدِّمنةَ القِفَارَ وأهـــ ... لَ اللهِ مـــا نَأوا عنـــكَ أَو قَرُبُوا
إلاَّ ســـفَاهاً وقد تَفَرَّعَكَ الشيــ ... بُ بلـــونٍ كـــأنَّهُ العُطُـــبُ
ومــرَّ خمســـونُ من سنيكَ كما ... عـــدَّ لكَ الحاسبونُ إذ حَسَبوا
فَعَـــدِّ ذكرَ الشبابِ لستَ لـــهُ ... ولا إليـــكَ الشبـــابُ ينقلبُ
كـــيفَ اعـــتذاري إلى الإلهِ ولم ... يُشْهرنَ فيَّ المأثـــورةُ القُضُبُ (2)

ويقـــدم لنا النابغة الشيباني تجربته التي استخلصها من الحياة بعد أن كساه الشيب ، وتتمثل في أن التقوى خير ما يتجمل به المرء بعد حياة اللهو والجهل ، ويرى أن على المرء ألا ينغمس في الملذات التي تعوده إلى اقتراف الذنوب ، وأن الشـــباب أقـــرب إلى الجنون الذي ينخدع به المرء ثم لا يلبث أن تتكشف له

---

(1) سورة القصص الآية ٧٧.

(2) شعر همدان وأخبارها في الجاهلية والإسلام ، جمع وتحقيق ودراسة ، د. حسن عيسى أبو ياسين، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، ص ٢٢٨

الحقــيقة ، كمــا أن الشيب خير واعظ للمرء ، ومن تجاهل عن موعظته فهو مفرط أخطأ في حق نفسه فيقول :

بان السَفاهُ وأودى الجهلُ والسَّرفُ ... وفي التقـــى بعد إفراطِ الفتى خَلَفُ

وقد كساني شيباً قد غَنيتُ بــه ... مــرُّ الليـــالي مع الأيامِ تختلـــفُ

وزالَ أيدي وشيــــبي ما يُزَايلُني ... وآلَ مـــني وشيبُ الرأسِ مختلفُ [1]

حـــتى إذا الدهـــرُ بَلاَّني وغَيرني ... كما يغيرُ جسمَ الُمخْضَبِ العَجَفُ [2]

قالتْ لَي النفسُ سراً إذ خَلُوتُ بها ... والنفسُ صادقةٌ لــو أنــها تقــفُ

مــن يرَ في وُلده أَيداً[3] يُسرُّ به ... لَهُن قوى شَيخِه والشيخُ مُنْحَذِفُ[4]

ذَرِ الشبابَ فـــلا تَتْبعْ لَذاذَتَهُ ... إنَّ الذي يتبــعُ اللــذات مُقْتَرِفُ[5]

إنَّ الشـــبابَ جنونٌ شَرْخُ باطله ... يُقيـــمُ غَضَّاً زمانـــاً ثُمَّ يَنْكَشِفُ

من يعْلُهُ الشيبُ لم يُحْدِثْ لهُ عِظَةً ... فَذَاكَ من سوسِهِ الإفراطُ والعُنُفُ[6]

هذه الرؤية التي قدمها لنا النابغة الشيباني تنطلق من أثر إسلامي واضح من خلال المعاني التي ترددت في الأبيات ، وهي في مجملها تؤكد على أهمية التقوى في حياة المسلم ، وعلى ما يجب أن يتحلى به من ورع واجتناب للملذات الزائلة ومــا ينبغـــي عليه أن يسارع فيه من الخير في حياته كلها ، وفي شيبه على نحو خـــاص ، كمـــا يتضح هذا الأثر من خلال الألفاظ الواردة في الأبيات وهي التقوى ، واقتراف الذنب ، والموعظة .

---

(١) الأيد : القوة .

(٢) المخضب : السمين المكتنز . والعجف : الضعف والهزال.

(٣) أيداً : قوة وباساً .

(٤) منحذف : مسقط ، مزال .

(٥)مقترف : جاء في اللسان : قرف الذنب وغيره يقرفه قرفاً ، واقترفه : اكتسبه .. وفي التتريل العزيز : ﴿ وَلِيَقْتَرِفُواْ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴾ . سورة الأنعام آية (١١٣) .

(٦) ديوان النابغة الشيباني ص١٠٤ .

ويتضح الأثر الإسلامي في رؤية الشعراء في الحديث عن مجانبة الشيب لأمور نهى الإسلام عنها ، وحذر من تعاطيها وهي الخمرة وهي من الكبائر التي حرمها الله تعالى على المسلم في حياته كلها ، ولكن معاقرتها ممن خطه الشيب أقبح وأشنع ، وهو ما يعبر عنه الأقيشر الأسدي في قوله :

أتاني بها يحيى وقدْ نمتُ نومَةً ... وقد غابتِ الشِّعرَى وقد جَنَحَ النَّسْرُ

فقلتُ اصطَبِحَها أو لِغيريَ فاهْدِها ... فما أنا بعد الشيبِ ويلكَ والخمرِ

إذا المرءُ وفَّى الأربعينَ و لم يكنْ ... لهُ دونَ ما يأتي حياءٌ ولا سِتْرُ

فَدَعْهُ ولا تُنْكِر عليه الذي أتى ... وإن جرّ أرساف الحياة له الدهرُ[(١)]

ونرى سن الأربعين التي وردت في شعر الأقيشر تتكرر عند غيره من الشعراء وكأنها حد فاصل بين حياة اللهو المرتبطة بمرحلة الشباب وحياة الرزانة والعقل ومحاسبة النفس ، وهو ما أشار إليه القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ **وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَـٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَـٰلُهُۥ ثَلَـٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَـٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ** ﴾ [(٢)] . وجاء في تفسير قوله تعالى : ﴿ **وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً** ﴾ أي تناهى عقله وكمل فهمه وحلمه .وللنخعي قوله : " كانوا يطلبون الدنيا فإذا بلغوا الأربعين طلبوا الآخرة " [(٣)].

ومن الشعراء الذين توقفوا عند هذه المرحلة حسان بن ثابت ﷺ حين يقول :

---

(١) العقد الفريد ، ابن عبد ربه ، تحقيق عبد المجيد الترحيني ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٤هـ/١٩٨٣م ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ٧٧/٨ .

(٢) سورة الأحقاف (١٥) .

(٣) ربيع الأبرار ، للزمخشري ، تحقيق د . سليم النعيمي ، نشر إحياء التراث الإسلامي العراق ، ٤٢٥/٢).

وكِـدتُ غداةَ البينِ يغْلبُني الهـوى أُعـالِجُ نفسي أن أقـومَ فأركَبا
وكيفَ ولا يَنسى التصابيَ بعـدما تجـاوزَ رأسَ الأربعـينَ وَجَرَّبا
وقد بانَ ما يأتي من الأمرِ واكتستْ مَفارِقُـهُ لوناً من الشيبِ مُغْرِبا [1]

ومنهم الشاعر الأموي أعشى همدان ، وهو يذكر أنه تجاوز الأربعين بعشر ، ويرى أن الحازم من الناس من اتعظ بالأحداث التي مرت به طوال هذه السنوات :

طلبتَ الصبا إذ علا المَكْبَرُ وشـابَ القَذالُ وما تُقْصِرُ
وبانَ الشبـابُ ولـذّاتُهُ ومِـثْلُكَ في الجَهلِ لا يُعْذَرُ
وقـالَ العواذلُ هل ينتهي فَيَقْدَعُهُ الشيبُ أو يُقْصِرُ [2]
وفي أربعـينَ تَوفَّيتُها وعشـرٌ مضتْ ليَ مُسْتَبْصَرُ
ومـوعظةٌ لامرئٍ حـازمٍ إذا كانَ يسمعُ أو يُبْصِرُ [3]

ويتضح الأثر الإسلامي في الرغبة التي يبديها الشاعر عند شيبه في التوبة والعودة إلى الله تعالى ، واعترافه بالذنوب التي اقترفها في حياته كنوع من التطهير لنفسه ، والتأكيد على تبدل منهجه في الحياة ، ومن الشعراء الذين تناولوا ذلك بوضوح الشاعر الأموي الفرزدق بعد أن بلغ سبعين سنة :

ألم تَـرَني عاهـدت ربي وأنـني لـبينَ رِتـاجٍ قائـمٍ وَمقَـامِ
علـى قسمٍ لا أشتُمُ الـدهرَ مسلماً ولا خارجـاً من فيَّ سوءَ كـلامِ

---

(١) ديوان حسان بن ثابت تحقيق : عبدالرحمن البرقوقي ،دار الأندلس ،بيروت ،١٩٨٠م ٧٦.

(٢) يقدعه : أي يكفه الشيب ويمنعه .

(٣) ديوان أعشى همدان وأخباره ، تحقيق د . حسن عيسى أبو ياسين ، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م ، دار العلوم ، الرياض ، ص ١١٧ .

ألم تَـرَني والشعرُ أصبـحَ بينـنا دُرُوءٌ مـن الإسلامِ ذاتُ حُوامِ [1]
بهنَّ شفى الرحمنُ صدري وقد جَلا عشَـا بصري منهنَّ ضوءُ ظَـلاَمِ
فأصبحتُ أسعى في فكَاكِ قِـلادَةٍ رهينـةِ أَوزارٍ عـلي عِظَـامِ
أُحَاذِرُ أن أُدْعى وحوضي مُحلِقٌ [2] إذا كـانَ يـوم الورْدِ يومَ خِصَامِ
ولم أنتـهِ حتى أحـاطتْ خطيئتي ورائي وَدَقَّتْ للـدهورِ عِظـامي
لَعَمْـرِي لَنِعْمَ النِّـحيُ كانَ لقومهِ عَشيةَ غَبَّ البيـعُ نَحْيٌ حُمَامِ [3]
بتـوبةِ عبـدٍ قـد أنابَ فُـؤادُهُ وما كانَ يُعْطِي الناسَ غيَر ظِلاَمِ [4]

لقـد جرّد الفرزدق من نفسه – في هذا المقطع من قصيدته – شخصاً آخر غير الذي عرفناه من حياته الماجنة ، وطبعه الجافي ، وسلاطة لسانه، لقد صرح بأنه عاهد ربه ألا يتعرض لأحد بالهجاء ، وألا يتفوه بسيئ الكلام ، وقد شرح الله صدره وأزال الغشاوة عن عينيه ، وهو حريص أن يكون من أوائل من يرد الحـوض . إنها توبة رجل أخطأ في حق الآخرين، وهو يسعى للتكفير عن هذا الخطأ بتوبة صادقة، يعترف فيها بأنه كان تابعاً لإبليس سنوات طويلة فيقول:

أطعتكَ يا إبليسُ سبعينَ حِجَّةً فلما انتهى شيـبي وتمَّ تمـامِي
فررتُ إلى ربي وأيقنتُ أنـني مُـلاَقٍ لأيامِ المَنُونِ حِمـَامِي
ألا طالَ ما قد بِتُّ يُوضِعُ ناقتي أبـو الجنِّ إبْليسٌ بغيرِ خِطَامِ [5]

---

(١)الدروء : الواحد درء : الميل والعوج ، يريد أن الإسلام حال بينه وبين الهجاء

(٢)المحلق : الذي ذهب ماؤه .

(٣)النحي : وعاء أو آنية للسمن ، غب البيع : تم البيع ، حمام : صاحب النحي .

(٤)ديوان الفرزدق ، شرحه وضبط نصوصه وقدم له :عمر فاروق الطباع ، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م ، دار الأرقم بن أبي الأرقم ص ٥٩٢.

(٥)يوضع ناقتي : يسيرها .

يظـــلُّ يمنيني على الرَّحلِ وارِكَاً يكـــونُ ورَائي مَرَّةً وأَمامِي[1]

يُبشـــرُني أن لنْ أَمـــوتَ وأَنَّهُ سَـــيُخلِدُني في جنَّةٍ وسَلاَمِ[2]

وأحسب أن الفرزدق وهو يقدم اعترافه بتلك الطاعة التي انقاد من خلالها لإبليس ، يريد أن يطهر نفسه بذلك الاعتراف ، ويعلن توبته من تلك التبعية .

وتمضي القصيدة بعد ذلك في استعراض لتاريخ إبليس في الغواية مع فرعون وأهل الحجر وآدم عليه السلام ، وهي تاريخ مليء بالخداع والخيانة .

ومع أن عدداً من الشعراء في عصر صدر الإسلام والعصر الأموي قد سايروا شعراء العصر الجاهلي في ذكر صدود المرأة ، وإعراضها حين ترى ملامح الشيب في رأس الرجل ، وجاروهم في المكابرة أو الاعتراف أو التسلي بالماضي ، فإن من الشـــعراء من اهتدى إلى تعليل جميل ، يرد به على هذا الصدود وهو تحوله من حياة اللهو إلى حياة أجمل وأفضل وهي العودة إلى الله تعالى وهو ما عبر عنه لبيد ابن ربيعة العامري في قوله :

فعـــادتْ عَوادٍ بيننا وتَنكـــرَّتْ وقالـــتْ كفى بالشيبِ للمرءِ قاتِـــلاً

تلومُ على الإهْلاَكِ في غيرِ ضلَّةٍ وهل ليَ ما أمسكتُ إن كنتُ باخِلا

رأيتُ التُّقَى والحمدَ خيرَ تجارةٍ رَبَاحاً إذا ما المرءُ أصبـــحَ ثَاقِـــلاَ

وهـــلْ هو إلا ما ابْتنى في حياتهِ إذا قذفوا فوقَ الضَّرِيحِ الجَنَـــادِلاَ[3]

إن هـــذه الرؤية ترتفع وتسمو من خلال اعتراف الشاعر من معين الإسلام والاهتداء بهديه ، فهو يرى أن خير ما يسعى لطلبه وهو في هذه السن تقوى الله تعالى ، ونراه يتأثر بالقرآن الكريم في جعل ذلك تجارة رابحة مع الله تعالى ، كما

---

(١)واركاً : معتمداً على وركه .

(٢)ديوان الفرزدق ص ٥٩٢.

(٣) شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري ، حققه وقدم له د. إحسان عباس ، التراث العربي. الكويت ١٩٦٢م، ص ٢٤٦ .

يؤكد على أن ما يحصله من هذه التجارة هو الزاد الذي ينفعه في الآخرة .

ولعبدالله بن معاوية الشاعر الأموي وقفة جميله مع الشيب ، أشار فيها إلى أن صــاحبته تــتجنى عليه ، وهي إن تظاهرت بذكر أمور تحملها عليه فإن الذي غيرها هو شيبه ، وهو قادم يحمل له كثيراً من الفضل فقد ألبسه ثوب العفاف ، وزينه بالوقار وعلمه الصبر على النائبات ، يقول:

أَتــتْني تَجَــني عليَّ الذنوبَ وما ليَ ذنبٌ سوى الشيبِ صَارا
ومــا زادني الشــيبُ إلا نُهى وإلا عفافــاً وإلا وقَـــارا
وإلا اصــطباراً علــى النائبا تِ والمــرءُ يمنعُ من قدْ أجــاراَ
فــلا تعجبي من مشوقٍ صحا وعَمَّمَــهُ الشيبُ منهُ خِمَارا (1)

كمــا نعجــب لهذه الطمأنينة التي ملأت قلب تميم بن أُبَي بن مقبل بعد إسلامه ، وهي قناعته بأن لحظة موته مقدرة من الله تعالى ، ولن تتغير بخوفه أو جزعه فيقول :

وتَنَكَّــرَتْ شــيبي فقلتُ لها لــيسَ المَشِيبُ بناقصٍ عُمرِي
سيَّانِ شيــبي والشبــابُ إذا مــا كنتُ من أجلي على قَدَرِ
ما شِبْتُ من كِبَرٍ ولكني امرؤٌ قارعتُ حدَّ نواجــذِ الدَّهرِ (2)

لقد كان أثر الإسلام في رؤية الشاعر للشيب واضحاً كما رأينا في النصوص السابقة ، وهو يتجاوز الأثر المعنوي إلى حد يقترب من التضمين والاقتباس كما في قول النابغة الشيباني :

---

(1) الحماســة البحترية ،تحقيق لويس شيخو ، الطبعة الثانية ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م ، دار الكتاب العربي ، ص ١٩٥ .

(2) ديوان ابن مقبل عني بتحقيقه ، د.عزة حسن ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق ١٣٨١هـ/١٩٦٢م ، ص ٣٦٧ .

ألم تـــرَ أن الخـــيرَ والشرَّ فتنـــةٌ ذخائـــرُ مجزيٌّ بهنَّ ذخـــائرُ
ومـــن يعملِ الخيراتِ أو يُخْطِ خالياً يجازَ بها أيامَ تُبْلَى السرائرُ [1]

ومن المؤكد أن الشاعر في تلك الأبيات يستحضر قول الله تعالى : ﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ [2]، وقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴾ [3] .

كما نرى تضمين الصورة القرآنية في قول لبيد رضي الله عنه :

إن تَري رأسيَ أمسى واضحاً سُلِّطَ الشيبُ عليـــه فاشْتَعَلْ [4]

فهو يستحضر تلك الصورة البيانية البديعة في قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾ [5].

ومـــن النظرات التي أحسب أنها جديدة عند شعراء صدر الإسلام والعصر الأموي تلك التي تنعى على الآخرين تماديهم في الغواية بعد أن دهمهم الشيب ، وهـــو ما أدخل الحديث عن الشيب في جانب الهجاء من ذلك قول عبيدالله بن قيس الرقيات :

رُبَّ زارٍ علـــيَّ لـــم يـــرَ منّـــِي عشـــرةً وهـــو مِمَـــأسٌ كَـــذّابُ
خادعَ الله حينَ حلَّ به الشيـــ ـــبُ فأضحى وبانَ منهُ الشبابُ
يـــأمـــرُ النـــاسَ أن يَبَـــرُّوا وينسى وعليه مـــن كَبـــْرَةٍ جِلْبَابُ [6]

---

(١)ديوان النابغة الشيباني ص٦٧ .

(٢) سورة الأنبياء ، الآية ٣٥ .

(٣) سورة الطارق ، الآية ٩ .

(٤) شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري ، ١٧٧ .

(٥) سورة مريم ، الآية ٤ .

(٦) ديوان عبدالله بن قس الرقيات ، تحقيق وشـــرح د. محمد يوسف نجم ، دار صادر ، بيروت ، ص٨٥-٨٦ .
والممأس : النمام .

ومـــن الغواية والإثم شرب الخمر ، وحين يجمع المسلم بينها وبين تقدمه في العمـــر فـــإن ذلك أنكى وأشد في حقه ، وهو مما يدعو إلى هجائه كما فعل عبدالله بن الزبير الأسدي :

أحينَ علاكَ الشيبُ أصبحتَ عَاهِراً
وقلتَ اسقني الصَّهْبَاءَ صِرْفاً مروَّقا
تركتَ شرابَ المسلمينِ ودِينَهمْ
وصاحبتَ وغداً من فَزَارةَ أَزْرَقـــا
تبيتانَ من شُرْبِ المُدَامةِ كالذي
أُتِيحَ لهُ حَبـــْلٌ فأضـــحى مُخَنَّقَا[1]

وفي اعـــتقادي أن هـــناك عاملين لهما أثر في كثرة الحديث عن الشيب عند الشاعر، وما يرد فيه من رؤية إسلامية : أولها :

إقامة الشاعر في مجتمع تتمثل فيه القيم الإسلامية تمثلاً واضحاً كما هو حال المدينة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وخلفائه الراشدين ، وهو ما اتضح في شعر حسان بن ثابت رضي الله عنه ، وقد تقدمت له نصوص تؤكد على ذلك ، وتوضح أنه ينظر إلى الشيب نظرة تأملية ، تنطلق من تمثله للدين الإسلامي فكراً وسلوكاً يعيشه في ذلك المجتمع الرشيد ، يقول– رضي الله عنه– في إحدى قصائده داعياً إلى الوقوف أمام الشيب وقفة المتأمل لما يتبعه من الضعف والموت والفناء ، وهو دأب كل المخلوقات ولا يبقى بعد ذلك غير الله تعالى المقدر لهذا الكون المسير لأمره ، وكأني بحسان رضي الله عنه يستمد تلك

---

(١) شـــعر عـــبدالله بن الزبير الأسدي ، جمع وتحقيق الدكتور : يحيى الجبوري ، دار الحرية ، بغداد ١٣٩٤هـــ/١٩٧٤م ، ص ٩٩ .

الرؤية من قوله تعالى : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ (١) يقول :

علا الشيبُ رأَسي بعدما كانَ أسودا
وفي الشيبِ آيـــــاتٌ لمـــنْ يتَفكَّرُ
وبعد الشبابِ الشيبُ والضعفُ والفَنا
وموتٌ لهُ قَدْرٌ عبـــــــوسٌ مُكَدِّرُ
فكمْ كمْ من الأملاكِ قد ذَلَّ مُلْكُهُمْ
وهلْ من نعيـــــــمٍ دائـــمٍ لا يُغَيَّرُ
سوى مُلْكِ رَبِّي ذي الجلالِ فإنهُ
لهُ الملكُ يقضـــــي ما يشاءُ وَيقْدِرُ (٢)

وثانيها : أن من فرّط في شبابه ، وانغمس في لذاته ، كان إحساسه بالذنب في كبره أشد من غيره ، وكانت رغبته في التنفيس عن نفسه ، والتأكيد على تغير منهجه أوضح من شاعر آخر لم ينهج نهجه ، ويعش تجربته (٣) ، ومن أبرز من تمثل ذلك في شعره الفرزدق ، والنابغة الشيباني .

وأمـــا الفرزدق فقد كان جافياً غليظ الطبع ، وكان يذهب مذهب الفتاك المـــتعهرين من شعراء الجاهلية من أمثال امرئ القيس والأعشى، كما اقترن جفـــاؤه بفتكه وفجوره (٤) ، وعبر شعره عن تلك المرحلة الماضية من حياته ،

---

(١) سورة الرحمن الآية ٢٦-٢٧.

(٢) ملوك حمير وأقيال اليمن ٩٩ .

(٣) جاء في شرح ديوان حسان بن ثابت – رضي الله عنه – في الهامش من شرح عبدالرحمن البرقوقي ما نصه : (وفي حديث النخعي :كان يعجبهم أن يكون للغلام إذا نشأ صبوة ؛ وذلك لأنه إذا تاب وارعوى كان أشد لاجتهاده في الطاعة ، وأكثر لندمه على ما فرط منه، وأبعد له من أن يعجب بعمله أو يتكل عليه) . ص ٧٦ .

(٤) انظـــر : تـــرجمة الفرزدق في الأغاني ، وانظر ما كتبه الدكتور محمد محمد حسين في كتابه: (الهجاء

ولكن شعره الذي اقترن بشيبه يدل على إحساسه بالذنب ، ورغبته في التوبة ، وقد مر بنا نصه الذي يعلن فيه ذلك ، كما يتمنى في نص آخر أن الشيب أخر عنه إلى يوم القيامة فيقول:

فليتَ الشيبَ يومَ غدا عَلينا إلى يومِ القيامةِ كــان غَابَا [1]

وحين عقد منازلة بن الشيب والشباب وذكر فيها غلبة الشباب، ختم نصه بما يدل على قناعته بأن نفس المرء وتجاربه خير من يعظه فيقول:

فما المرءُ منفُوعاً بتجريبِ واعظ إذا لــــمْ تَعظْهُ نفْسُهُ وتجاربُهْ

ولا خيرَ ما لم ينفعِ الغصنُ أَصْلَهُ وإن ماتَ لم تحزنْ عليه أقاربُهْ [2]

أما النابغة الشيباني فهو أحد الشعراء الأمويين ، ويرجح الدكتور عمر فروخ – مــن خــلال ترجمة الأصفهاني والصفدي له – أنه كان نصرانياً ثم أسلم ، وأشار إلى كثرة الغزل ووصف الخمر في شعره [3] ، ولعل في ماضيه وشعره ما يدعوه إلى الإحساس بالرغبة في التوبة والرجوع إلى الله تعالى ، وقد مر بنا قوله :

من يعْلُهُ الشيبُ لم يُحْدِثْ لهُ عِظَةً

فذاكَ من سُوسِهِ الإفْرَاطُ والعُنُفُ [4]

ومن شعره الذي يرى فيه الشيب أحد الزواجر التي نهته عن الضلال قوله :

كُــــلُّ عيشٍ ولــذّةٍ ونعيمٍ وحـــيــاةٍ تُــؤدي كَفَيءِ الظّلالِ

=والهجــاؤون في صــدر الإسلام)، دار النهضة العربية، بيروت ١٣٩١هـ/١٩٧١م ص ٢٣٠ ، وصفحة ٢٣٧ .

(١) ديوان الفرزدق ، ص ٩٧.

(٢) المصدر السابق ص٧٠ .

(٣) انظر : تاريخ الأدب العربي ، عمر فروخ ، الطبعة الخامسة ١٩٨٤م ، دار العلم للملايين ١/٦٨٥–٦٨٨ .

(٤) ديوان النابغة الشيباني ص ١٠٤ .

كَفَّنِي الحِلمُ والمشيبُ وعقلي   ونُهَــى اللهِ عن سبيــلِ الضَّــلاَلِ
وأرى الفقــرَ والغِنى بيدِاللــ   ــهِ وحتفَ النفوسِ في الآجَالِ [1]

كما يرى أن مباهج الشباب تنتهي بقدوم الشيب، وأن آجال العباد مكتوبة، وأن الله يعقب الشدة بالفرج ، والناس مختلفون في طباعهم بين ناصح ومضل . يقول :

يبلى الشبابُ وينفي الشيبُ بَهْجَتَهُ
والدهرُ ذو العَوصِ يأتي بالأَعاجِيبِ
إني وجدتُ سِهَامَ المــوتِ مَعْدِنُها
بكلِّ حتمٍ من الآجــالِ مَكْتُوبِ
من يلقَ بَلْوَى يَنُبْهُ بعدهــا فرجٌ
والناسُ بين ذَوي روحٍ ومــكْرُوبِ
وبــينَ داعٍ إلى رُشْــدٍ صحابَتَهُ
وبين غــاوٍ وذي مَالٍ ومحرُوبِ [2]

* * *

(١) المصدر نفسه ص ١٤٠.

(٢) ديوان النابغة الشيباني ، ص ٣٨.

وبعـــد تلـــك الرحلة التي تعرفنا فيها على رؤية الشعراء لظاهرة الشيب في عصـــرين مختلفين هما العصر الجاهلي والعصر الإسلامي يمكن التوصل إلى نتائج أجملها في الآتي:

١-قلّـــت الـــوقفات المتأنية للشيب عند الشاعر الجاهلي، ومرد ذلك في اعـــتقادي إلى أنه لا يملك رؤية بعيدة تتجاوز الشيب والموت، فكانت غايـــته تقف عند ذلك الحد الذي يجعله يتسلى بماضيه في التخفيف من وطأة الشيب والضعف.

٢-كـــان لبـــناء القصيدة الجاهلية الصارم أثر في تلك النظرة العجلى عند الشـــاعر الجاهلي ، فالشيب في كثير من صوره يأتي في سياق إعراض صاحبة الشاعر عنه بعد أن دهمه الشيب .

٣-ركـــز الشـــعراء الجاهليون في تناولهم لظاهرة الشيب على تغير نظرة المحـــيطين بالشـــاعر عندما يصل إلى هذه المرحلة، خاصة النساء اللائي ينصـــرفن عن الشاعر، ويتجلى كذلك في إحساس الشاعر بالمرارة وهو يفقد كثيراً من متع الحياة، ويشعر بدنو الأجل.

٤-واجـــه الشـــاعر الجاهلـــي تلك المرارة التي يشعر بها بالمكابرة وعدم الاعتراف بالضعف الذي أصابه ، أو بالحديث عن ماضيه وما يحمله من ذكريات تبعث على الفخر والرجولة ، أو الاعتراف بالواقع والتسليم بأن الشيب مرحلة من مراحل العمر حري به أن يتعامل معها بما يناسبها من التعقل والرزانة .

٥-كان الحديث عن الشيب وردة الفعل نحوه – عند الجاهلية – نابعة في الغالب من طبع الشاعر الذي عرف عنه، فإذا كان متعقلاً كان الشيب

أدعى إلى رصانته وحكمته، وإذا كان ماجناً كانت ردة فعله تتسم بالمكابرة، أو تذكر الماضي والتسلي به.

٦- بقيت الرؤية الجاهلية تتردد في أشعار الإسلاميين، وذلك لأنها في معظمها لا تخالف الرؤية الإسلامية، و لم يكن ذلك مرحلة وقتية عند المخضرمين بل امتدت هذه الرؤية عند الإسلاميين أمثال جرير وغيره.

٧- بدأت رؤية الشعراء للشيب في العصر الإسلامي تتأثر بتعاليم الإسلام وبدأ الشاعر ينظر إلى الشيب نظرة جديدة تجاوزت التذكير بالنهاية وهي الموت إلى التذكير بالتوبة عن الذنوب ، والاستعداد للحياة الأخرى ، بما يناسبها من التوجه إلى الله تعالى والإكثار من الأعمال الصالحة .

٨- تجلى أثر الإسلام بوضوح من خلال التأثر بالمعاني الواردة في القرآن الكريم وسنة الرسول ﷺ ، ووصل في بعض صوره إلى تمثل الصياغة القرآنية أو النبوية على نحو يقترب من الاقتباس.

٩- اتضح أن للبيئة والمجتمع أثراً في رؤية الشاعر للشيب وما تحمله من ملامح إسلامية، كما كان ذلك في شعر حسان رضي الله عنه، وهو يعيش في مجتمع المدينة. كما أن صبوة الشاعر وانغماسه في اللذات في شبابه قد يكون له أثره في إحساسه بالذنب في كبره ، وهو ما اتضح في شعر الفرزدق والنابغة الشيباني .

١٠- وجد معجم جديد بالألفاظ والعبارات التي اقترنت بالحديث عن الشيب من مثل : الموعظة ، والعفاف ، والبر ، والتقى ، والحمد ، والحياء ، والدين ، والجنة ، والأجل المكتوب ، واقتراف الذنب ،

والخـــير والشـــر فتنة ، واعتذاري إلى الله ، وشفى الرحمن صدري ، وتـــوبة عبد قد أناب ، وتبلى السرائر ، وخادع الله ، وملك ربي ذي الجلال ، له الملك يقضي ما يشاء ويقدر .

وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

فهرس المصادر والمراجع :

١- **القرآن الكريم**

٢- **الإصابة في أخبار الصحابة** ، لابن حجر العسقلاني ، دراسة وتحقيق :عادل عبد المقصـــود والشيخ علي محمد معوض ، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ/١٩٩٥م ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

٣- **الأصـــمعيات** ، تحقيق وشرح : أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، الطبعة الخامسة، بيروت - لبنان.

٤- **البـــيان والتبـــيين** للجاحظ ، تحقيق وشرح عبدالسلام هارون ، الطبعة الخامسة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م ، مكتبة الخانجي .

٥- **التبـــيان في كتاب النوادر في اللغة** لأبي زيد الأنصاري ، تحقيق : د. محمد عبد القادر أحمد، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ ، دار الشروق ، بيروت .

٦- **تاريخ الأدب العربي** ، الدكتور عمر فروخ ، الطبعة الخامسة ١٩٨٤م ، دار العلم للملايين - بيروت .

٧- **الحماســـة** لأبي تمام، تحقيق : د. عبدالله عسيلان ، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

٨- **الحماسة البحترية** ، تحقيق: لويس شيخو ، الطبعة الثانية ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م ، دار الكتاب العربي .

٩- **الحماســـة البصرية** لعلي بن الحسن البصري ، تحقيق : د. عادل سليمان جمال ، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م ، مكتبة الخانجي ،القاهرة .

١٠- **ديـــوان الأعشى الكبير** ميمون بن قيس ، شرح وتعليق د. محمد محمد حسين ، المكتب الشرقي للنشر والتوزيع ، بيروت - لبنان.

١١- **ديـــوان أعشـــى همدان وأخباره** ، تحقيق : د. حسن عيسى أبو ياسين ، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ، دار العلوم ، الرياض

١٢- **ديـــوان الإمام علي بن أبي طالب**، تحقيق : د.محمد عبدا لمنعم خفاجي ، دار ابن زيدون ، مكتبة الكليات الأزهرية.

١٣- **ديـــوان امرئ القيس** ، تحقيق أبو الفضل إبراهيم ، الطبعة الثالثة ١٩٦٩م ، دار المعارف ، مصر .

١٤- **ديوان أوس بن حجر** ، تحقيق وشرح د. محمد يوسف نجم ، دار صادر ، بيروت ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م .
١٥- **ديوان حسان بن ثابت** ، حققه د. وليد عرفات ، دار صادر ١٩٧٤م ، بيروت .
١٦- **ديوان سلامة بن جندل** ، صنعه محمد بن الحسن الأحول ، تحقيق: فخر الدين قباوة ، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م .
١٧- **ديوان عامر بن الطفيل** ، رواية أبي بكر محمد بن القاسم الأنباري عن أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب ، دار صادر ، بيروت ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م .
١٨- **ديوان عبدالله بن قيس الرقيات** ، تحقيق وشرح د.محمد يوسف نجم ، دار صادر بيروت .
١٩- **ديوان عبيد بن الأبرص**، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م.
٢٠- **ديوان عروة بن الورد والسموأل** ، دار صادر ، بيروت ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م .
٢١- **ديوان علقمة الفحل**، تحقيق : لطفي الصقال ودرية الخطيب ، الطبعة الأولى ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م ، دار الكتاب العربي بحلب .
٢٢- **ديوان الفرزدق** ، شرحه وضبط نصوصه ، وقدم له :عمر فاروق الطباع ، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ/١٩٩٧م ، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم .
٢٣- **شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري** ، حققه وقدم له : د. إحسان عباس . التراث العربي ، الكويت ١٩٦٢هـ
٢٤- **ديوان ابن مقبل** عني بتحقيقه : د. عزة حسن ،وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق ١٣٨١ هـ /١٩٦٢م.
٢٥- **ديوان النابغة الذبياني**، شرح وتعليق حنا نصر الحتي ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ/١٩٩١م ، دار الكتاب العربي ، بيروت .
٢٦- **ديوان النابغة الشيباني** ، تحقيق : د.عمر الطباع ، نشر شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت. لبنان.
٢٧- **ربيع الأبرار** للزمخشري ، تحقيق: الدكتور سليم النعيمي ، نشر إحياء التراث الإسلامي ، العراق .

٢٨- **شرح أشعار الهذليين** لأبي سعيد السكري ، حققه عبدالستار أحمد فراج ، مراجعة محمود شاكر ، مكتبة العروبة .
٢٩- **شرح ديوان جرير،** قدم له وشرحه:تاج الدين شلق ، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م ، دار الكتاب العربي .
٣٠- **شـــرح ديـــوان زهير بن أبي سلمى** ، صنعة أبي العباس ثعلب ، قدم له ووضع فهارسه : د. حنا نصر الحتي ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ/١٩٩٢م ، دار الكتاب العربي ، بيروت .
٣١- **شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري** ، حققه :د. إحسان عباس . التراث العربي ، الكويت ١٩٦٢م .
٣٢- **شرح المعلقات السبع** للزوزني ، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ/١٩٩٠ ، عالم الكتب بيروت .
٣٣- **شرح المفضليات** للتبريزي ، تحقيق :علي محمد البجاوي ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، مصر ١٣٩٢هـ/١٣٩٤هـ .
٣٤- **الشـــعر الجاهلـــي،** منهج في دراسته :د. محمد النويهي ، الدار القومية للطباعة والنشر .
٣٥- **شـــعر عبدالله بن الزبير الأسدي** ،جمع وتحقيق: الدكتور : يحيى الجبوري ، دار الحرية ،بغداد ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م .
٣٦- **شـــعر عمرو بن شأس الأسدي** جمع وتحقيق : د. يحيى الجبوري ، مطبعة النجف الأشرف .
٣٧- **شـــعر همـــدان وأخبارها في الجاهلية والإسلام** ، جمع وتحقيق ودراسة :د. حسن عيسى أبو ياسين الطبعة الأولى١٤٠٣هـــم١٩٨٣م ، دار العلوم للطباعة والنشر ، الرياض .
٣٨- **العقد الفريد لابن عبد ربه** ، تحقيق : عبد المجيد الترحيني ، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م ، دار الكتب العلمية ، بيوت لبنان .
٣٩- **العمدة** لابن رشيق تحقيق :محمد محيي الدين عبد الحميد .
٤٠- **اللطائــف والظرائف** لأبي منصور الثعالبي ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ/١٩٩٢م ، دار المناهل ، بيروت .

٤١- **المعمـــرون والوصايا** لأبي حاتم السجستاني ، تحقيق :عبد المنعم عامر ، دار إحياء الكتب العربية ١٩٦١ م.

٤٢- **المفضـــليات** ، اختيار المفضل الضبي ، تحقيق وشرح : أحمد محمد شاكر ، وعبد السلام هارون ، الطبعة الخامسة ١٩٧٦م ، دار المعارف .

٤٣- **ملوك حمير وأقيال اليمن،** نشوان الحميري تحقيق : السيد علي المؤيد وإسماعيل الجرافي المطبعة السلفية ١٣٧٨هـ .

٤٤- **النوادر في اللغة** لأبي زيد الأنصاري ، تحقيق : د. محمد عبد القادر أحمد، الطبعة الأولى ١٩٨١م/١٤٠١هـ، دار الشروق، بيروت.

٤٥- **الهجاء والهجاؤون** ، د. محمد حسين ، دار النهضة العربية ، بيروت ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م .

٤٦- **الوحشـــيات (الحماسة الصغرى)** لأبي تمام حبيب بن أوس الطائي ، علق عليه وحققه: عبدالعزيز الميمني وزاد في حواشيه ، محمود محمد شاكر ، الطبعة الثالثة ، دار المعارف .

* * *